مجلة جامعة الملك سعود، م٢٤، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (٢)، ص ص٣٩١-٤٢١، الرياض (٢٠١٢م/١٤٣٣هـ)

أدلة النصارى على ألوهية المسيح ومعجزاته من القرآن الكريم (جمعاً ودراسةً)

حمود بن إبراهيم بن حمود بن سلامة

أستاذ العقيدة والأديان المساعد بقسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود

الرياض، المملكة العربية السعودية، ص.ب ٢٤٥٨ الرمز ١١٤٥١

E-mail: humood4@gmail.com

(قدم للنشر في ١٤٣١/١٢/١هـ؛ وقبل للنشر في ١٤٣٢/١١/١٨هـ)

الكلمات المفتاحية: تفسير القرآن، المسيح، الألوهية، المعجزات، النصارى.

ملخص البحث. عمد النصارى إلى المتشابه من القرآن ليدللوا على صحة معتقدهم في ألوهية المسيح من خلال بعض أوصافه ومعجزاته الواردة في القرآن.

واستدلال النصارى من القرآن على علم المسيح المطلق للغيب باطل ولا يصح؛ وما جاء في كتاب الله من ذلك إنما يدلُّ على اختصاصه ببعضِ علم الغيب لا مطلقه، ولم يكن ذلك قاصراً عليه.

وأما استدلالهم على عصمته – عليه السلام – من القرآن؛ فليس فيه دلالة على اختصاص المسيح به، بل يشمله وأمه وذريتها، فما يقال عن المسيح يصح أن يُقال عن مريم – عليها السلام – وذريتها.

وأما معجزات المسيح التي أتى بها فهي مقيدة بالإذن من الله له، لكونها مما يختص اللهُ به، ولو كان – عليه السلام – إلهاً لما احتاج أن يُقيَّد ذلك بإذن الله.

وأما ميلاده – عليه السلام – فمع كونه جاء بطريقةٍ معجزة؛ إلا أنه لا يصح أن يُرفع فوق مقامه الذي أنزله اللهُ إياه.

وشفاعة المسيح – عليه السلام – ثابتة كما ثبتت لغيره من الأنبياء، فلا يصح أن تكون مسوغاً لإلباسه صفة الألوهية؛ وإلا لصحَّ ذلك مع غيره من الأنبياء وحاشاهم.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله أنزل القرآن الكريم خاتماً لكتبه، وتحدى به الثقلين أن يأتوا بمثله، يقول تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨)، وأخبر عنه أنه ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٢)، ولما كان منزلاً من عندِ الحكيم الحميد فلا يمكن أن تتعارض آياته ونصوصه، كيف وهو من عند الله، يقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢).

ولمكانة القرآن العظيمة عند المسلمين؛ سعى أعداءُ الدين من النصارى وغيرهم إلى محاولة تشويه معانيه، وصرف دلالات الآيات إلى ما يوافق أهواءهم، فقاموا بالبحث في القرآن الكريم عما يزعمون أنه موافق لدينهم ومُؤيِّد لعقيدتهم في تأليه المسيح، والقول بالتثليث، وغير ذلك مما يعتقدون.

وقد كنت أثناء إعدادي لبحث الدكتوراه ألتقي بعدد من القساوسة والرهبان، وكان احتجاجهم بالقرآن على صحة معتقدهم أمراً مشتهراً عندهم، وأن الإسلام إنما جاء ليؤكد الديانة المسيحية المُثلّثة، وكانت طريقتهم ماثلةً أمامي، ويتوارد عليَّ دوماً سؤالٌ؛ ماذا لو تمّ نقاشهم مع العامة من المسلمين؟ وكيف سيتمكن المسلم من الرد على مثل ذلك؟ وهل سيكون له أثر في زعزعة ثقته بكتاب الله؟ سيما وأن استدلالهم إنما يكون بالقرآن، مما يُثير تساؤلات ويزرع شكوكاً.

كل هذه الأمور جعلتني أجِدُّ في جمع الآيات التي يستدل بها النصارى على صحة عقيدتهم، وبيان معناها الصحيح، ثم تفنيد استدلالهم بها.

وبعد استقصاء الآيات وجمعها؛ وجدتُ أن البحث سيطول ويتشعب، لذا رأيتُ أن أحصره فيما يتعلق باعتقادهم ألوهية المسيح ومعجزاته، وقد سميته: **أدلة النصارى على ألوهية المسيح ومعجزاته من القرآن الكريم** «جمعاً ودراسةً».

أهمية الموضوع وأسباب الاختيار

١ – الذود والدفاع عن كتاب الله مسؤولية جميع المسلمين كلٌ بحسبه، وأما بيان معانيه على ما يختاره أئمة المفسِّرين المعتبرين من المتقدمين والمتأخرين فهو مسؤولية العلماء وطلاب العلم، وهذا البحث لبنة صغيرة، يرجو صاحبها أن تُسهم في ذلك.

٢ – يعلق في أذهان بعض المسلمين شيءٌ من شبهاتٍ ومتشابهاتٍ يستدل بها النصارى من القرآن الكريم على تقرير معتقدهم وديانتهم، أو للطعن في كلام الله، فإزالة ذلك تمثل حافزاً على الكتابة.

٣ – كثرة المؤلفات التي ألّفها النصارى للطعن في القرآن الكريم، وردُّ تلك الافتراءات ودحضها يُمثّل نوعاً من الدفاع الأصيل الذي سلَكه أئمة السلف في مواجهة الباطل وأهله، سواءً من أتباع الفرق الإسلامية المنحرفة أو من أصحاب الملل والديانات الأخرى.

٤ – الأثر البالغ الذي تُخلِّفه المناقشات والمناظرات في هذا الزمن من خلال وسائل الإعلام، وعبر الوسائط المرئية والمسموعة، ومواقع الشبكة العنكبوتية (الانترنت)، ولذلك الأثر البالغ في نفوس

الأتباع من جميع الأديان، فكان نقاش مثل هذه المواضيع محتماً ولازماً على المختصين.

أهداف البحث

١ – التأكيد على أصالة القرآن الكريم وجودته، وخلوه من الباطل والزيغ والدعوة إلى الشرك ونحوه.

٢ – بيان المعاني الصحيحة للآيات التي قد يُتوهم معناها أو يُلبَّسُ بها على عوام المسلمين.

٣ – بيان وتجلية أن القرآن الكريم الذي أنزله اللهُ على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – إنما جاء بتوحيد الله وإفراده بالعبادة، وذلك مناقضٌ مناقضةً تامةً لدعوة النصارى وقولهم بالتثليث.

٤ – إثراء مكتبات العقيدة الإسلامية والملل والنحل والتفسير بشيء من الردود على شبهات النصارى حول القرآن الكريم، مع بيان المعاني الصحيحة أو الراجحة لما قد يُتوهم إشكاله.

منهج البحث

سلكتُ في هذا البحث المسلك الاستقرائي النقدي، بحيث أستقرأُ النصوص الشرعية التي يستدلُّ بها النصارى في كتبهم، ويتأولونها بما يتوافق مع أهوائهم، ثم أنقدها مُبيّناً القول الصحيح أو الأقرب إليه في الآية.

وقد قمتُ – في سبيل تحقيق ذلك – بالإجراءات التالية:

١ – بيان معتقد النصارى في كل مطلب من المطالب الواردة، وذلك من خلال كتبهم ومصادرهم المعتمدة عندهم، مع الحرص عند النقل على عدم الاقتصار على طائفةٍ واحدةٍ من طوائفهم المشتهرة.

٢ – جمعتُ الآيات التي يستدل بها النصارى على ألوهيَّة المسيح – عليه السلام – ومعجزاته، ثم أوردتُ أقوالهم حولها ملتزماً نصوصهم إلا ما دعت الحاجة إلى اختصاره أو التصرف فيه.

٣ – رجعتُ إلى جملة من مصادر التفسير، سواء منها التفسير بالمأثور، كتفسير الطبري، وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، وتفسير السعدي، أو التفسير بالمعقول (بالرأي)، كتفسير الرازي، وابن عطية، والبيضاوي، كما حرصتُ أن تكون التفاسير جامعةً بين منهج المتقدمين كالطبري والبغوي وابن عطية وغيرهم، والمتأخرين كالألوسي وابن سعدي وابن عاشور، كما رجعتُ إلى بعض كتب الاعتقاد والملل التي عنيت بالرد على النصارى، ودحض شبههم.

٤ – اختصار المعلومة – قدر الإمكان – اختصاراً غير مخلٍ، ليسهل الاطلاع عليها، وتحصل الفائدة المرجوة منها.

٥ – الالتزام بإرجاع الأقوال – قدر الاستطاعة – إلى مصادرها الأصلية.

٦ – اتبعتُ الطريقةَ المختصرة في الإحالة، وذلك بذكر اسم الكتاب ثم الجزء والصفحة، وأخَّرتُ كامل التفاصيل إلى قائمة المراجع.

٧ – عزوتُ الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى مواضعها من القرآن الكريم، بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

٨ – قمت بتخريج الأحاديث الواردة، وذلك بذكر اسم الباب ثم الجزء والصفحة ثم رقم الحديث.

خطة البحث

قسَّمتُ البحث إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث تشتمل على ثمانية مطالب ثم الخاتمة، كما يلي:

- **المبحث الأول: المتشابه: تعريفه والحكمة منه، وموقف المخالفين تجاهه.**
  - **المطلب الأول:** تعريف المتشابه وأنواعه، وفيه فقرتان:
    أ. تعريف المتشابه.
    ب. أنواع المتشابه.
  - **المطلب الثاني:** الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم.
  - **المطلب الثالث:** موقف المخالفين من المتشابه في القرآن الكريم.
- **المبحث الثاني: ألوهية المسيح – عليه السلام –، وفيه ثلاثة مطالب:**
  - **المطلب الأول:** علم الغيب، وفيه ثلاث فقرات:
    أ. موجز معتقد النصارى.
    ب. أدلتهم من القرآن الكريم.
    ج. دراسة الأدلة.
  - **المطلب الثاني:** العصمة من الخطأ، وفيه ثلاث فقرات:
    أ. موجز معتقد النصارى.
    ب. أدلتهم من القرآن الكريم.
    ج. دراسة الأدلة.
  - **المطلب الثالث:** مصدرُ الخَلْقِ والحياة، وفيه ثلاث فقرات:
    أ. موجز معتقد النصارى.
    ب. أدلتهم من القرآن الكريم.
    ج. دراسة الأدلة.
- **المبحث الثالث: معجزات المسيح – عليه السلام –، وفيه مطلبان:**
  - **المطلب الأول: الولادة،** وفيه ثلاث فقرات:
    أ. موجز معتقد النصارى.
    ب. أدلتهم من القرآن الكريم.
    ج. دراسة الأدلة.
  - **المطلب الثاني: شفاعةُ المسيح – عليه السلام –، وفيه ثلاث فقرات:**
    أ. موجز معتقد النصارى.
    ب. أدلتهم من القرآن الكريم.
    ج. دراسة الأدلة.
- **الخاتمة:** ذكرتُ فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

المبحث الأول

المتشابه: تعريفه والحكمة منه، وموقف المخالفين تجاهه

المطلب الأول: تعريف المتشابه وأنواعه

أ – تعريف المتشابه

الشبه والشبيه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيءُ الشيءَ ماثله، وفي المَثَل: من أشبه أباه فما ظلم، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾ (الزمر: ٢٣) أي أنه متماثلٌ في الإتقان والإحكام.

والأصل في التشابه التماثل، ثم تُوسع فيه ليشمل كل التباس وإن اختلفت درجته من شخص لآخر[(١)]، ومنه قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (آل عمران: ٧)، قال ابن سعدي: (أي يلتبس معناها على كثير من الأذهان، لكون دلالتها مجملة، أو يتبادر إلى بعض الإفهام غير المراد منها، فالحاصل أن منه آيات بينة واضحة لكل أحدٍ، وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تشكل على بعض الناس)[(٢)].

وقد اختلف في معنى المتشابه في القرآن الكريم، فقيل: المتشابه ما لم يكن لأحدٍ إلى علمه سبيل، وقيل: ما يحتمل وجوهاً، وقيل: المتشابه منسوخ القرآن، وأمثاله، وأقسامه، وما نؤمن به ولا يترتب عليه عمل، وقيل: المتشابه ما فيه تصريف وتأويل، وقيل: المتشابه ما يُرجع فيه إلى غيره[(٣)].

ب – أنواع المتشابه

يمكن القول إن المتشابه على نوعين:

١ – المتشابه الحقيقي: وهو مالا يعلمه أحد من الخلق، كالعلم بحقائق ذات الله – سبحانه وتعالى –.

٢ – المتشابه الإضافي: وهو ما اشتبه على بعض الناس دون عمومهم، ويُحتاج في فهم معناه الحقيقي إلى دليل آخر.

يقول الإمام الشاطبي: (ما أشكل معناه، ولم يبين مغزاه كان من المتشابه الحقيقي، كالمجمل من الألفاظ وما يظهر من التشبيه، أو من المتشابه الإضافي، وهو ما يحتاج في بيان معناه الحقيقي إلى دليل خارجيٍ، وإن كان في نفسه ظاهر المعنى)[(٤)].

المطلب الثاني: الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم

اجتهد العلماء – قديماً وحديثاً – في بيان الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم، ويُمكن إجمال

---

(١) انظر: ابن منظور، د.ت، ٥٠٣/١٣؛ المطرودي، ١٤١٦هـ، ص ١٢ – ١٣؛ نمارنه، ١٤٢٣هـ، ص ٤٣.

(٢) السعدي، ١٤٢١هـ، ص ١٢٢.

(٣) انظر: عبد الرزاق، د.ت، ص ١٠ – ١١.

(٤) الشاطبي، د.ت، ٢٣٣/٢؛ وانظر: الحنفي، ١٣٩١هـ، ص ٢٣٤.

ذلك فيما يلي:

١ – الحث على التأمل والتفكير والاجتهاد في كتاب الله، ومداومة البحث والنظر والمدارسة له، لاستخراج دلالات الآيات واستنباط الأحكام، إذ القرآنُ أساس الشريعة الإسلامية في كل زمان ومكان، والاجتهاد باقٍ في الأمة إلى قيام الساعة، وذلك حافزٌ لمزيدٍ من التأمل والاستنباط.

٢ – إقامة الحجة على العرب؛ فمع أن القرآن نزل بلغتهم إلا أنهم عجزوا عن إدراك كل حقائقه والإحاطة بها، وفيه إثبات تفرّد الله بالإحاطة علماً بكل شيء – سبحانه وبحمده – والله بكل شيءٍ محيط.

٣ – الابتلاء والاختبار للمؤمنين في إيمانهم بالغيب وما استأثر الله بعلمه، كحقائق اليوم الآخر، ولذلك كان الإيمان بالغيب ركناً من أركان الإيمان لا يكتمل إلا به، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ ﴾ (البقرة: ١٧٧)، وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة: ١ – ٣).

٤ – دعوة الأمة إلى امتثال أقوال العلماء الراسخين، ولزوم مجالسهم، لأنهم – بعد الله – خير طريق ووسيلة لفهم ما أشكل من كتاب الله وخفي معناه، وفي المقابل فيه التحذير من أهل الأهواء والبدع الذين يتبعون المتشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وموافقةً للهوى.

٥ – أن وجود المتشابه في القرآن يُعدُّ باباً من أبواب الدعوة إلى قراءة كتاب الله، فأهل الملل المُعادية للإسلام سيجدون في المتشابه ما يدعو إلى النظر ابتداءً في القرآن، ومحاولة تلمس أي خلل – وحاشا كلام الله – يطرأ على قاصري الأفهام، ومن في قلبه مرض، ولكنهم بعد النظر والتأمل يظهر لمن كان منهم منصفاً متجرداً عظمة هذا الإعجاز، وبلاغة عبارته وفصاحته، فيكون هادياً لهم بإذن الله[٥].

المطلب الثالث: موقف المخالفين من المتشابه في القرآن الكريم

دأب أهل الأهواء وأعداء الدين والملّة على تتبع متشابه القرآن، لمحاولة التشكيك في النصوص الشرعية والمسلَّمات العقدية، وضَرْب كلام الله بعضه ببعض، والنيل من إعجاز القرآن وبلاغته؛ حتى يتفق مع أهوائهم الضالة، وشهواتهم الفاسدة، فتجدهم يأخذون بالمتشابه من نصوص الوحيين، ويتركون النصوص الصريحة المحكَمة، التي تدحض باطلهم، وتبطل فهمهم، وهذا حالُ أهل الزيغ والضلال الذي حذرنا الله منه في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ

(٥) للاستزادة، انظر: المطرودي، ١٤١٦هـ، ص ١١١ – ١١٧؛ نمارنه، ١٤٢٣هـ، ص ٧٤ – ٧٥.

تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (آل عمران: ٧).

وقد أخذ بهذا المنهج الضال بعضُ النصارى، فلووا أعناق النصوص ليستدلوا بها على معتقداتهم من القول بالتثليث وألوهية المسيح وغيرها من العقائد الباطلة.

وقد حذرنا النبي – صلى الله عليه وسلم – من هؤلاء المحرِّفين للكتاب والسُّنة، والمتبعين للمتشابهات ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويل كلام الله على غير مراده؛ فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «تَلا رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – هَذِهِ الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (آل عمران: ٧).

قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: فَإِذَا رَأَيْت الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِك الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[٦].

وقد بيّن الإمام الشاطبي خطورة الاستدلال بالمتشابهات، وتأويلها على غير وجهها، وأن هذا عملُ المبتدعة وأهل الأهواء، بل وحتى أهل الملل الأخرى كالنصارى، كما نبّه على المنهج الشرعي في التعامل مع هذه المتشابهات، فقال: (ومنها: انحرافهم عن الأصول الواضحة إلى اتباع المتشابهات التي للعقول فيها مواقف، وطلب الأخذ بها تأويلاً، كما أخبر الله تعالى في كتابه إشارة إلى النصارى في قولهم بالثالوثي بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾، وقد عَلِمَ العلماءُ أنّ كلّ دليلٍ فيه اشتباه وإشكال ليس بدليل في الحقيقة حتى يتبين معناه ويظهر المراد منه، ويُشتَرَط في ذلك أن لا يعارضه أصلٌ قطعي، فإذا لم يظهر معناه لإجمال أو اشتراك، أو عارضه قطعي كظهور تشبيه فليس بدليل؛ لأن حقيقة الدليل أن يكون ظاهراً في نفسه ودالاً على غيره، وإلا احتيج إلى دليل، فإن دلَّ الدليل على عدم صحته فأحرى أن لا يكون دليلاً.. ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد؛ وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم أطرافه بعضها لبعض، فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها، وعامِّها المرتب على خاصِّها، ومطلَقِها المحمول على مقيَّدِها، ومجملها المفسَّر ببيِّنها، إلى ما سوى ذلك من مناحيها..)[٧].

كما أبطل شيخ الإسلام ابن تيمية استدلال النصارى بكتاب الله على شيءٍ من معتقداتهم، قال

(٦) أخرجه البخاري، ١٤٠٧هـ، ١٦٥٥/٤، ح (٤٢٧٣): بـــاب ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾؛ ومسلم، د.ت، ٢٠٥٣/٤، ح (٢٦٦٥): باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من مُتبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن.

(٧) الشاطبي، د.ت، ٢٣٩/١ – ٢٤٥.

– رحمه الله –: (وحينئذ فهؤلاء – النصارى – إن أقروا برسالة محمد – صلى الله عليه وسلم –، وأنه صادق فيما بلّغه عن الله من الكتاب والحكمة، وجب عليهم الإيمان بكل ما ثبت عنه من الكتاب والحكمة كما يجب الإيمان بكل ما جاءت به الرسل، وإن كذّبوه في كلمة واحدة أو شكّوا في صدقه فيها؛ امتنع مع ذلك أن يُقروا بأنه رسول الله، وإذا لم يقروا بأنه رسول الله كان احتجاجهم بما قاله كاحتجاجهم بسائر ما يقوله من ليس من الأنبياء، بل من الكذابين أو من المشكوك في صدقهم.

وإنما المقصود هنا أن احتجاجهم بكلمة واحدة مما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – لا يصح بوجه من الوجوه، فإنه إن كان رسولاً صادقاً في كل ما يخبر به عن الله – عز وجل – فقد علم كل واحدٍ أنه جاء بما يخالف دين النصارى، فيلزم إذا كان رسولاً صادقاً أن يكون دين النصارى باطلاً، وإن قالوا في كلمة واحدة مما جاء به أنها باطلة، لزم أن لا يكون عندهم رسولاً صادقاً مبلغاً عن الله)[٨]، والله أعلم.

المبحث الثاني

ألوهية المسيح

المطلب الأول: علم الغيب

أ – موجزُ معتقد النصارى

يعتقد النصارى في المسيح صفات الألوهية، فهو عندهم ابن الله، وله كامل الصفات التي لله – الآب كما يسمونه، تعالى الله عن ذلك –، لذا فمن الطبيعي أن يعتقدوا بأنه يعلم الغيب وما تخفيه الصدور والقلوب.

يقول الأنبا يوأنس: (المسيح يعلم الخفايا والسرائر، معلوم أن الله وحده هو العالم بالخفايا والسرائر، وفاحص القلوب والكلى.. ولقد نسب السيد المسيح لذاته صراحة أنه هو الفاحص للقلوب والكلى.. لو كان المسيح بشراً كأحد الأنبياء أو الرسل، هل كان ممكناً أن ينسب إلى ذاته أنه هو الفاحص؟)[٩].

ويقول القس أبانوب حنا: (الابن يعرف كل شيءٍ، ويعرف الغيبيات بصفته الإلهية أنه الله الظاهر في الجسد، فهو إنسان كاملٌ يعرف كل المعرفة مثل الآب، وخاصةً معرفةَ يومِ وساعةِ المجيء)[١٠].

إلا أن قلة من النصارى يعتقدون أن المسيح – عليه السلام – خفي عليه بعض الغيب، كوقت القيامة، وهو ما يسمونه بالمجيء الثاني[١١] أي مجيء

(٨) ابن تيمية، د.ت، ١/١٣٩ – ١٤٣.

(٩) يوأنس، د.ت، ص ٩١ – ٩٣.

(١٠) إبراهيم، ٢٠٠٦م، ص ٣٠.

(١١) يؤمن النصارى بمجيئين للمسيح – عليه السلام –، أما المجيء الأول فهو بعدما تجسّد، وصار إنساناً كاملاً وإلهاً كاملاً كما يزعمون، واستمرَ المجيء الأول حتى صعوده إلى السماء، بعد مكوثه في القبر ثلاثة أيام، ثم خروجه إلى الأرض، وبقائه عليها أربعين يوماً.
أما المجيء الثاني؛ فمرادهم به مجيءُ المسيح في آخرِ الزمان ليحاسب الناس، ويدينَ الأحياء والأموات، فهو بمثابة قيام الساعة ونهاية الزمان، انظر: إبراهيم، ٢٠٠٦م، ص ٢٠؛ يوحنا، د.ت، ص ١٦٣ وما بعدها؛ اليسوعي، ١٩٩٨م، ص ٤٣٩ – ٤٤٠.

عيسى ثانيةً في آخر الزمان، يقول الأب أنتوني كونيارس: (لا يعلمُ أحدٌ متى سوف يكون المجيء الثاني ولا حتى الابن، إن هذا يعلمه الآب فقط)[١٢].

ب – أدلتهم من القرآن الكريم:

يستدل النصارى في هذا الجانب بقوله تعالى عن عيسى – عليه السلام – أنه قال: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٩)، وبقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (الزخرف: ٦١).

يقول القس سامي إسكندر عند آية الزخرف: (وهو – أي المسيح – المهدي الذي تشرئبُّ له أعناق المسلمين بكل مذاهبهم عند ذكر اسمه، وإنه وحده مع الله سبحانه له علم الساعة «وإنه لعلم للساعة»)[١٣].

ويقول القس إبراهيم لوقا عن آية آل عمران: (فالنصُّ والتفسير صريحان في أن المسيح كان يعلم الغيب، ويُنبِّئ بما في الصدور.. فإذا كان الإسلام قد أقرَّ أن علم الغيب خاص بالله وحده، وأقرَّ أن المسيح كانت له هذه القدرة؛ فمعنى هذا أن الإسلام يرفع المسيح عن مرتبة البشر، وفي هذا إقرار منه بلاهوت المسيح، وتلك هي النتيجة المنطقية لتصريحات الإسلام)[١٤].

ويقول يوسف درة: (فعلم الساعة من خصائص الله: «وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم» والمسيح عنده علم الساعة)[١٥].

ويقول إسكندر جديد عند آية الزخرف: (ومتى ذكرنا أنّ المعروف عند الناس أن الله ينفرد عن خلقه بأنه وحده عنده علم الساعة، ندرك الميزة التي أفردها القرآن للمسيح)[١٦].

ويقول البابا شنودة الثالث: (وأخُصُّ منها – أي من معجزات المسيح – مما ورد في القرآن معجزتين فوق طاقة البشر جميعاً، لم يقم بمثلهما أحد من الأنبياء، وهما القدرة على الخلق، وعلى معرفة الغيب.. هنا يقف العقل لكي تتأمل الروح.. لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التي لم يعملها أحد والتي هي عمل الله ذاته)[١٧].

فواضح هنا استدلال النصارى بالآيات الواردة في اختصاص المسيح – عليه السلام – بشيء من علم الغيب على أنه يعلم الغيب علماً مطلقاً، ومن ثم فهو مستحقٌ للعبادة كما يزعمون.

ج – دراسة الأدلة:

استشهد النصارى بآية آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٩)

(١٢) كونيارس، ٢٠٠٧م، ص ٢١٢.
(١٣) إسكندر، ٢٠٠٥م، ص ١٠٧.
(١٤) لوقا، ١٩٩٥م، ص ١٣٧ – ١٣٨.
(١٥) الحداد، ١٩٨٦م، ص ١٩١.
(١٦) جديد، د.ت، ص ٤.
(١٧) شنودة الثالث، د.ت، ص ٥.

للدلالة على علم المسيح المطلق للغيب، وهذا خلاف ما يقتضيه سياق الآية وظاهرها، فالآية دالَّةٌ على شيءٍ مما اختص اللهُ به المسيحَ، وهو بعضُ علم الغيب لا مطلقه، إذ العلم هنا محصور بما يؤكل ويُدخَّر وليس بكل علم، وهو ما ذكره المفسرون، قال الطبري: (وأما قوله «وأنبئكم بما تأكلون» فإنه يعني: وأخبركم بما تأكلونه مما لم أعاينه وأشاهده معكم في وقت أكلكموه، «وما تدخرون» يعني بذلك: وما ترفعونه فتخبئونه ولا تأكلونه، يعلمهم أن من حجته أيضاً على نبوته مع المعجزات التي أعلمهم، أنه يأتي بها حجةً على نبوته وصدقه في خبره أن الله أرسله إليهم)[١٨]، ويقول أيضاً: (وقال آخرون: إنما عنى بقوله «وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم» ما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم، وما تدخرون منها)[١٩].

ويقول البغوي: («وأنبئكم» أخبركم «بما تأكلون» مما لم أعاينه «وما تدخرون» ترفعونه «في بيوتكم» حتى تأكلوه..، وقال قتادة: إنما كان هذا في المائدة)[٢٠].

ويقول ابن كثير: («وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم» أي: أُخبركم بما أكل أحدكم الآن، وما هو مدخر له في بيته لغد، «إن في ذلك» أي في ذلك كله، «لآيةً لكم» أي على صدقي فيما جئتكم به)[٢١]. فهو علمٌ محصور بما يُؤكل وما يدخر لا بكل شيءٍ، ويشهد له ما جاء في بعض الروايات أن هذا العلم كان محصوراً بالمائدة التي أنزلها الله تصديقاً لنبوته، فعن قتادة في قوله تعالى: «وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون»، قال: (أنبئكم بما تأكلون من المائدة وما تدخرون منها. قال: فكان أخذ عليهم في المائدة حين نزلتْ: أن يأكلوا ولا يدّخروا، فادخروا وخانوا، فجُعلوا خنازير حين ادّخروا وخانوا)[٢٢]، وقال الرازي: (إن الإخبار عن الغيوب إنما ظهر وقت نزول المائدة، وذلك لأن القوم نُهوا عن الادخار، فكانوا يخزنون ويدخرون، فكان عيسى – عليه السلام – يخبرهم بذلك)[٢٣]، ويُؤكّد الرازي أن هذا العلم دليلٌ على الإعجاز وليس على ألوهية المسيح، فيقول: (الإخبار عن الغيوب على هذا الوجه معجزة، وذلك لأن المنجمين الذين يدّعون استخراج الخير لا يمكنهم ذلك إلا عن سؤالٍ يتقدم، ثم يستعينون عند ذلك بآلة ويتوصلون بها إلى معرفة أحوال الكواكب، ثم يعترفون بأنهم يغلطون كثيراً، فأما الإخبار عن الغيب من غير استعانة بآلة، ولا تقدم مسألة لا يكون إلا بالوحي من الله تعالى)[٢٤].

ويردُّ ابن عاشور على النصارى احتجاجهم

(١٨) الطبري، د.ت، ٢٧٨/٣.
(١٩) الطبري، د.ت، ٢٨٠/٣.
(٢٠) البغوي، د.ت، ٣٠٤/١.
(٢١) ابن كثير، د.ت، ٣٦٦/١.
(٢٢) الطبري، د.ت، ٢٨٠/٣.
(٢٣) فخر الدين الرازي، ١٤٢٠هـ، ٢١٦/٤.
(٢٤) فخر الدين الرازي، ١٤٢٠هـ، ٢١٦/٤.

بهذه الآية فيقول: (وتعرُّض القرآنِ لذكر هذه المعجزات تعريضٌ بالنصارى الذين جعلوا منها دليلاً على ألوهية عيسى، بعلة أن هذه الأعمال لا تدخل تحت مقدرة البشر، فمن قدر عليها فهو الإله، وهذا دليل سفسطائي أشار الله إلى كشفه بقوله: «بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» وقوله: «بِإِذْنِ اللَّهِ» مرتين)[٢٥].

ثم إن هذا العلم المقيد الذي عَلِمه المسيح – عليه السلام – كان لسبب، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، أي هذه الآية وغيرها، هي من باب الدلالة على صدقه – عليه السلام – فيما جاء به من إفراد الله بالعبادة والتوحيد.

أما آية الزخرف فليس فيها ما يدل على علم الغيب، وإنما معنى الآية – على القول بعود الضمير على المسيح عليه السلام – أن نزول المسيح في آخر الزمان علامة على قيام الساعة ودلالة عليها لا أنه يعلم الساعة والغيب، وإلا فهناك قول آخر بأن الضمير يعود للقرآن وليس للمسيح، قال الطبري: (اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: «وإنه».. فقال بعضهم: هي من ذكر عيسى وهي عائدةٌ عليه، وقالوا معنى الكلام: وإن عيسى ظهوره عِلْمٌ يُعْلَمُ به مجيء الساعة، لأن ظهوره من أشراطها، ونزوله إلى الأرض دليلٌ على فناء الدنيا وإقبال الآخرة..، وقال آخرون: الهاء التي في قوله «وإنه» من ذكر القرآن، وقالوا معنى الكلام: وإن هذا القرآن لعلم للساعة يُعلِمكم بقيامها، ويخبركم عنها وعن أهوالها)[٢٦].

ويقول البغوي: («وإنه» يعني عيسى – عليه السلام –، «لعلم للساعة» يعني نزوله من أشراط الساعة، يُعلم به قربها، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة: «إنه لَعَلَمٌ للساعة» بفتح اللام والعين أي: أمارة وعلامة)[٢٧].

ويقول ابن كثير: (المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة.. كما قال تبارك وتعالى: «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته» أي: قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام، «ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيداً»، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى «وإنه لعَلَمٌ للساعة» أي: أمارة)[٢٨].

ويزيد الألوسي في بيان ذلك فيقول: (وإنه أي عيسى – عليه السلام – لعلمٌ للساعة، أي أنه بنزوله شرط من أشراطها، أو بحدوثه بغير أب، أو بإحيائه الموتى؛ دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الأمور الواقعة في الساعة، وأياً ما كان فعلم الساعة مجاز عما تعلم به والتعبير به للمبالغة)[٢٩].

ويقول ابن سعدي: («وإنه لعلم للساعة» أي: وإن عيسى – عليه السلام – لدليل على الساعة، وأن

(٢٥) ابن عاشور، ١٩٨٤م، ١٠٢/٣.

(٢٦) الطبري، د.ت، ٩٠/٢٥ – ٩١.

(٢٧) البغوي، د.ت، ١٤٣/٤.

(٢٨) ابن كثير، د.ت، ١٣٣/٤.

(٢٩) الألوسي، ١٤١٥هـ، ٩٥/٢٥.

القادر على إيجاده من أم بلا أب قادر على بعث الموتى من قبورهم، أو وإن عيسى – عليه السلام – سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة)[٣٠].

ويشهد لذلك ما ثبت في الحديث من نزول المسيح في آخر الزمان، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ بن مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حتى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»[٣١].

وفي الجملة فإن علم الله علمٌ شامل لكل الجزئيات والتفاصيل، بخلاف علم العبد؛ فالمسيح – عليه السلام – عَلِمَ ما يأكلون وما يدخرون في الجملة، ولكنه لم يعلم كمَّ ذلك المأكول وعدده على وجه الدقة، فذلك من خصائص علم الله المطلق، قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ٥٩ – ٦٠)، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ (الرعد: ٨ – ١٠).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ليس مع النصارى لا حجة سمعية ولا عقلية توافق ما ابتدعوه، ولكن فسَّروا كلام الأنبياء بما لا يدل عليه، وعندهم في الإنجيل أنه قال: إن الساعة لا يعلمها الملائكة ولا الابن، وإنما يعلمها الأب وحده، فبيِّنٌ أن الابن لا يعلم الساعة، فعُلِمَ أن الابن ليس هو القديم الأزلي، وإنما هو المحدث الزماني)[٣٢].

المطلب الثاني: العصمة من الخطأ

أ – موجزُ معتقد النصارى

يعتقد النصارى أن المسيح معصومٌ من الخطأ والزلل، سواء عند من يقول بالطبيعة الواحدة[٣٣]

(٣٠) السعدي، ١٤٢١هـ، ٧٦٨/١.

(٣١) أخرجه البخاري، ١٤٠٧هـ، ١٢٧٢/٣، ح (٣٢٦٤): باب نزول عيسى بن مريم؛ ومسلم، د.ت، ١٣٥/١، ح (١٥٥): باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد.

(٣٢) ابن تيمية، د.ت، ١٤٨/٢.

(٣٣) يعتقد النصارى أن الروح القدس طهّر رَحِمَ مريم – عليها السلام – طهارةً كاملةً من كل الآثام التي تلحق بني آدم، ويعتقد الأرثوذكس أن طبيعةَ الله اتحدت بالطبيعة الناسوتية داخل الرحم اتحاداً أقنومياً كاملاً دائماً غير منفصلٍ، وباتحاد هاتين الطبيعتين الإلهية والبشرية؛ تكونت طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة، هي طبيعة ومشيئة الله الكلمة المتجسد. =

كالأرثوذكس – وهذا ظاهر –، أو حتى من يقول بالطبيعتين كالكاثوليك والبروتستانت، فالطبيعتان معصومتان.

يقول الأنبا يوأنس[٣٤]: (ليس أحد معصوماً من الخطأ إلا الله وحده، حتى إنه يقال في المثل الشائع: «العصمة لله وحده»[٣٥]، ليس أحد من البشر معصوماً من الخطأ والخطيئة، وحتى الأنبياء لم يكونوا معصومين من الخطأ والخطيئة إلا فيما كتبوا من أسفار مقدسة أو نطقوا بأقوالٍ بإرشاد روح الله.. لكن السيد المسيح قال متحدياً اليهود: «من منكم يبكتني على خطية؟» أي من منكم يُثبتُ عليَّ خطأً)[٣٦].

ويقول القس سبرول[٣٧]: (حين نتحدث عن أن المسيح بلا خطيةٍ، فنحن في العادة نشير إلى بشريته، وإنه من غير الضروري أن ندافع عن أن لاهوت المسيح بلا خطية.. وعقيدة أن المسيح بلا خطية لم تلق أية معارضةٍ أو جدل أساسي.. وكون المسيح بلا خطية لاتفيد فحسب كنموذج لنا، بل هي أساسية وجوهرية من أجل خلاصنا)[٣٨].

ب – أدلتهم من القرآن الكريم

يستدل النصارى في هذا الجانب بقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران: ٣٦)، وبقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴾ (مريم: ١٩).

يقول القس إبراهيم لوقا: (ذَكَرَ القرآن للمسيح مركزاً ممتازاً وخاصاً به في الكمال، فبينما نراه قد سجل على جميع البشر نقصهم الأخلاقي، وسقوطهم تحت سلطان الإثم بلا تفريق بين الأنبياء والرسل جميعاً؛ نراه قد أقر للمسيح بالتنزيه عن الآثام والعصمة من الشرور والخطايا)[٣٩]، ويقول أيضاً: (إذا كان هذا مركز المسيح الأخلاقي في الإسلام، وإذا ذكرنا أن العصمة هي لله وحده المنفرد بالكمال دون شريك أو شبيه، فهل نخطئ حين نقول إن الإسلام يقر للمسيحية بصحة

=ويُخالفُهم في ذلك أصحاب الطبيعتين، وهم طائفةُ الكاثوليك والبروتستانت، إذ يعتقدون بأن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد؛ إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية.
انظر: شنودة الثالث، ٢٠٠٧م، ص ٧؛ حلمي، ٢٠٠٦م، ص ١٠٨ – ١٠٩؛ حلمي، ٢٠٠٧م، ص ٢١٨ – ٢١٩؛ كونيارس، ٢٠٠٧م، ص ١٢٧ – ١٢٩؛ يوأنس، ٢٠٠٨م، ص ١٤٠ – ١٤١؛ يوأنس، د.ت، ص ٣٣ وما بعدها؛ جرجس وباسيلي، د.ت، ص ١٠٥ – ١٠٧؛ سليم، ١٩٩٨م، ص ١٨٤؛ أنس، د.ت، ص ١٠٣ – ١٠٤.

(٣٤) وهو ممن يقول بالطبيعة الواحدة.

(٣٥) يقول الشيخ بكر أبو زيد: (أسماء الله وصفاته توقيفية، وهذا اللفظ – يريد العصمة لله – هو معنى عدد من أسمائه، مثل: الحكيم، الحفيظ، وكقول: (الكمال لله) وليس من أسماء الله (الكامل)، ولي في الإطلاقين وقفة، والمشهور أن هذا تعبيرٌ لا يجوز في حق الله تعالى، إذ العصمة لابد لها من عاصم). أبو زيد، ١٤١٧هـ، ص ٣٩٢.

(٣٦) يوأنس، د.ت، ص ١٠١ – ١٠٣.

(٣٧) وهو ممن يقول بالطبيعتين.

(٣٨) سبرول، ٢٠٠٠م، ص ٩١.

(٣٩) لوقا، ١٩٩٥م، ص ١٣٣.

عقيدتها عن لاهوت المسيح الممجد؟)[٤٠].

ج – دراسة الأدلة

جاء في آية آل عمران استعاذةُ أُمِّ مريم – عليها السلام – بالله من الشيطان، وتَقَبُّل الله واستجابَتُه لدعائها، وهو ما اعتمد عليه النصارى في قولهم بعصمة المسيح الدالة على ألوهيته في زعمهم، وبتأمُّلِ ما أورده المفسرون حول الآيتين السابقتين نجد أنه مخالف لما يحاول النصارى التلبيسَ به.

فأما آية آل عمران، فقد جاء في الحديث: عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قال: «ما من مَوْلُودٍ يُولَدُ إلا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا من نخسه الشَّيْطَانِ إلا بن مَرْيَمَ وَأُمَّهُ» ثُمَّ قال أبو هُرَيْرَةَ: اقرؤوا إن شِئْتُمْ: ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران: ٣٦)[٤١].

يقول الطبري عند هذه الآية: (القول في تأويل قوله تعالى: «وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» تعني بقولها: وإني أعيذها بك وذريتها؛ وإني أجعل معاذَها ومعاذَ ذريتها من الشيطان الرجيم بك، وأصل المعاذِ: الموئل والملجأ والمعقل، فاستجاب الله لها فأعاذها الله وذريتها من الشيطان الرجيم، فلم يجعل له عليها سبيلا)[٤٢].

ويسرد الرازي جملة من الأقوال الواردة في القبول الحسن فيقول: (ذكر المفسرون في تفسير ذلك القبول الحسن وجوهاً:

الوجه الأول: أنه تعالى عصمها وعصم ولدها عيسى – عليه السلام – من مسِّ الشيطان.

الوجه الثاني: في تفسير أن الله تعالى تقبلها بقبول حسن، ما روي أن حنّة حين ولدت مريم، لفَّتها في خرقةٍ وحملتها إلى المسجد، ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة، وقالت: خذوا هذه النذيرة، فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم، وكانت بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم، فقال لهم زكريا: أنا أحق بها، عندي خالتها، فقالوا: لا حتى نقترع عليها، فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر، فألقوا فيه أقلامهم التي كانوا يكتبون الوحي بها على أن كل من ارتفع قلمه فهو الراجح، ثم ألقوا أقلامهم ثلاث مرات، ففي كل مرة كان يرتفع قلم زكريا فوق الماء، وترسُبُ أقلامهم، فأخذها زكريا.

الوجه الثالث: روى القفال عن الحسن أنه قال: إن مريم تكلمت في صباها كما تكلم المسيح ولم تلتقم ثدياً قط، وإن رزقها كان يأتيها من الجنة.

الوجه الرابع: في تفسير القبول الحسن، أن المعتاد في تلك الشريعة أن التحرير لا يجوز إلا في حق

(٤٠) لوقا، ١٩٩٥م، ص ١٣٦.

(٤١) أخرجه البخاري، ١٤٠٧هـ، ١٦٥٥/٤، ح (٤٢٧٣): باب ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾؛ ومسلم، د.ت، ١٨٣٨/٤، ح (٢٣٦٦): باب فضائل عيسى – عليه السلام –.

(٤٢) الطبري، د.ت، ٢٣٨/٣.

الغلام حين يصير عاقلاً قادراً على خدمة المسجد، وهاهنا لما علم الله تعالى تضرع تلك المرأة قَبِلَ تلك الجارية حال صغرها وعدم قدرتها على خدمة المسجد، فهذا كله هو الوجوه المذكورة في تفسير القبول الحسن)[٤٣]، وليس من بين هذه الأوجه ما يتأوله النصارى.

ويقول ابن كثير: (وقوله إخباراً عن أم مريم أنها قالت «وإني أعيذُها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» أي: عوذتها بالله – عز وجل – من شر الشيطان، وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى – عليه السلام – فاستجاب الله لها ذلك)[٤٤].

ويقول ابن سعدي: («وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» دعت لها ولذريتها أن يعيذها الله من الشيطان الرجيم، «فتقبلها ربها بقبول حسن» أي: جعلها نذيرةً مقبولة، وأجارها وذريتها من الشيطان)[٤٥].

فالمفسرون على أن الاستعاذة جاءت من أم مريم لمريم وذريتها، فاستجاب الله لها، وليست الآية خاصة بالمسيح، بل به وأمه وذريتها، وهذا يتضمن الرد عليهم، لأنه إن قيل بتأليه المسيح بهذه الآية فأمه وذريتها يشاركونه في ذلك، وإن أنكروا دخول غير المسيح في ذلك؛ لزم عدم دخوله – عليه السلام – أيضاً إذ السياق واحد.

ويمكن أن يُستنبط من قوله تعالى: «وذريتها» بأن الآية دالة على أن المسيح بشر قابل للأبوة البشرية، وأن يكون له ذرية بالتوالد البشري، لأن الذرية تشمل الابن والبنت ومن تحتهما، جاء في *القاموس المحيط*: (الذرية مثلثة لنسل الثقلين)[٤٦]، وفي *مختار الصحاح*: (ذَرَأَ: خَلَقَ، وبابه قَطَعَ، ومنه الذرية وهي نسل الثقلين)[٤٧]، فقوله: «وذريتها» تشمل ذرية مريم وابنها عيسى – عليه السلام – على فرض وجود الذرية له.

أما قوله تعالى: «لأهب لك غلاماً زكياً» فالزكي هو الطاهر من الذنوب، قال الطبري: (والغلام الزكي هو الطاهر من الذنوب)[٤٨].

ويقول البغوي: («غلاماً زكياً» ولداً صالحاً طاهراً من الذنوب)[٤٩].

ويقول ابن سعدي: («لأهب لك غلاماً زكياً» وهذه بشارةٌ عظيمةٌ بالولد وزكائه، فإن الزكاء يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة، واتصافه بالخصال الحميدة)[٥٠]، لكن هذا الزكاء لم يكن خاصاً بالمسيح – عليه السلام –، فقد جاء في القرآن وصف الزكاء لغيره، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ

(٤٣) فخر الدين الرازي، ١٤٢٠هـ، ١٨٦/٤ – ١٨٧.
(٤٤) ابن كثير، د.ت، ٣٦٠/١.
(٤٥) السعدي، ١٤٢١هـ، ١٢٩/١.
(٤٦) الفيروزآبادي، ١٤١٩هـ، ٥١/١.
(٤٧) الرازي، ١٤١٥هـ، ٩٢/١.
(٤٨) الطبري، د.ت، ٦١/١٦.
(٤٩) البغوي، د.ت، ١٩١/٣.
(٥٠) السعدي، ١٤٢١هـ، ٤٩١/١.

فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (آل عمران: ١٦٤)، ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ (الكهف: ٧٤)، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ (الشمس: ٩)، وعلى التنزل مع المخالف، نقول: ما قيل في زكاء المسيح يقال في زكاء غيره، فيكون المعنى أن المؤمنين الذين آمنوا بمحمد – صلى الله عليه وسلم – وزكَّاهم أصبحوا معصومين بفضل دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم –، وكذا النفس الزكية المقتولة في سورة الكهف، يلزم من قولهم أن تكون معصومةً من الخطأ.

بل إن العصمة من الخطأ – على فهمهم – أمرٌ ينال بالاجتهاد، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ ولا شك أن هذه المعاني كلها غير صحيحة، ولم يقل بها أحدٌ من الأئمة، فلم يبق إلا القول بأن الزكاء الوارد في عيسى – عليه السلام – وغيره في القرآن الكريم لا يراد به العصمة المطلقة، وإنما هو زكاء من الخصال الذميمة، واتصافه بالصفات الحميدة دون لزوم العصمة من ذلك، والله أعلم.

المطلب الثالث: مصدرُ الخَلْقِ والحياة

أ – موجزُ معتقد النصارى

يعتقد النصارى أن المسيح هو الخالق المُحيي واهب الحياة، ويستدلون على ذلك من كتابهم المقدس بعدة أدلة، منها: ما ورد في *إنجيل يوحنا*: (كل شيءٍ به كان، وبغيره لم يكن شيءٌ مما كان)[٥١]، وفيه أيضاً: (فيه كانت الحياة)[٥٢][٥٣].

يقول البابا شنودة الثالث: (كيف يكون المسيح خالقاً، بينما الخلق من صفات الله وحده؟

لقد كان يخلق بقوة لاهوته، باعتبار أنه الأقنوم الثاني عقل الله، إذن فهل هو الذي خلق الكون أم الله الآب هو الذي خلق الكل؟ إن الله الآب خلق العالم كله بالابن، خلقه بعقله، بفهمه، بمعرفته، بكلمته، أي بالأقنوم الثاني)[٥٤]، ويقول أيضاً: (لم يحدث مطلقاً أن إنساناً تحدث بهذا الأسلوب، الذي به يكون واهباً للحياة ومعطياً لها، وأنه يُعطي حياةً أبدية، وأنه يُحيي من يشاء، والذي يتبعه يحيا إلى الأبد ولا يهلك، ولا يخطفه أحد من يده، إنها كلها من أعمال سلطان الله)[٥٥].

ويقول القس يوسف رياض: المسيح له الأعمال الإلهية، فهو الخالق، وهناك ثلاثة فصول في العهد الجديد تبين لنا أن المسيح هو الخالق[٥٦].

وجاء في مجموعة الشرع الكنسي: (كلمة الله بحسب الطبيعة لا يعتوره موت ولا فساد، وهو حياةٌ ومانحٌ للحياة)[٥٧].

---

(٥١) الكتاب المقدس، ١٩٩٣م، ٣/١.

(٥٢) الكتاب المقدس، ١٩٩٣م، ٤/١.

(٥٣) للاستزادة انظر: شنودة الثالث، ٢٠٠٧م، ص ٣٤ وما بعدها.

(٥٤) شنودة الثالث، ٢٠٠٧م، ص ٣٦.

(٥٥) شنودة الثالث، ٢٠٠٧م، ص ٣٨.

(٥٦) رياض، د.ت، ص ٦٨، بتصرف.

(٥٧) كساب، ١٩٩٨م، ص ٢٩٧.

ب – أدلتهم من القرآن الكريم

يستدل النصارى في هذا الجانب بقوله تعالى: ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٩).

يقول القس إبراهيم لوقا: (ومن بين تلك العجائب التي ذكرها القرآن عن المسيح قدرته على أن «يخلق» من الطين طيراً بنفخه فيه.. فإذا كانت قوة الخلق خاصة من خواص اللاهوت، وآيةٌ من آياته، وكان القرآن قد أقرَّ للمسيح بهذه القوة والقدرة؛ فإن النتيجة المنطقية اللازمة هي أن القرآن قد شهد صراحةً بلاهوت المسيح)[٥٨].

ويقول إسكندر جديد: (لقد خصّ الله عيسى بكونه روحاً، وأضاف النفخ في خلقه من الطين، ولم يضف نفخاً في إعطاء الحياة لغير عيسى بل لنفسه تعالى)[٥٩].

ويقول البابا شنودة الثالث: (وأخُص منها – معجزات المسيح – مما ورد في القرآن، معجزتين فوق طاقة البشر جميعاً، لم يقم بمثلهما أحد من الأنبياء، وهما القدرة على الخلق وعلى معرفة الغيب)[٦٠].

ج – دراسة الأدلة

دلَّت الآيةُ دلالةً صريحةً على معجزة من المعجزات التي وهبها الله لعيسى – عليه السلام –، وهي الخلق بإذن الله تعالى، وقد جاء تقييد هذه المعجزة بإذن الله لكونها مما يختص اللهُ به، وهو ما يؤكِّده المفسرون، يقول البغوي: («إني أخلق» أي: أُصوّر وأُقدّر لكم من الطين كهيئة الطير.. «فأنفخ فيه» أي: في الطير، «فيكون طيراً بإذن الله».. قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً، ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق، وليُعلم أن الكمال لله – عز وجل –)[٦١].

ويقول ابن كثير: (كان يفعل بصورٍ من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه فيطير عياناً بإذن الله – عز وجل –، الذي جعل هذا معجزةً له تدل على أنه أرسله..، قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى – عليه السلام – السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار وحيرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار، إنقادوا للإسلام، وصاروا من عباد الله الأبرار، وأما عيسى – عليه السلام – فبُعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرّع الشريعة)[٦٢].

---

(٥٨) لوقا، ١٩٩٥م، ص ١٣٨ – ١٣٩.

(٥٩) جديد، د.ت، ٤.

(٦٠) شنودة الثالث، د.ت، ص ٥.

(٦١) البغوي، د.ت، ٣٠٣/١.

(٦٢) ابن كثير، د.ت، ٣٦٥/١.

ويقول ابن سعدي: (وأيُّ آيةٍ أعظم من جعل الجماد حيواناً، وإبراء ذوي العاهات التي لا قدرة للأطباء في معالجتها، وإحياء الموتى والإخبار بالأمور الغيبية، فكل واحد من هذه الأمور آيةٌ عظيمة بمفردها، فكيف بها إذا اجتمعت وصدّق بعضها بعضها، فإنها موجبة للإتقان وداعية للإيمان)[٦٣].

ويقول ابن عاشور: (والخلق هنا مستعمل في حقيقة؛ أي: أُقدِّر لكم من الطين كهيئة الطير، وليس المراد به خلق الحيوان، بدليل قوله فأنفخ فيه.

وزاد قوله: «بِإِذْنِ اللَّهِ» لإظهار العبودية، ونفي توهم المشاركة في خلق الكائنات)[٦٤].

فالخلق المنسوب للمسيح إنما هو بإذن الله، وعليه فإن الاستدلال بالآية على ألوهية المسيح باطل ولا يصح، فلو كان إلهاً لما احتاج أن يكون خلقه بإذن الله، والله تعالى عندما ذكر خلقه للمخلوقات في آيات أُخرى لم يحتج – وهو الغني سبحانه وبحمده – أن يجعلها بإذن أحد، يقول تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨١)، ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (الحجر: ٢٦)، ويقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ (الحجر: ٨٥)، ويقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٦)، ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (المؤمنون: ١٢)، ويقول تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ (الصافات: ١١)، فهل يستوي هذا مع قوله تعالى عن المسيح: ﴿ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (آل عمران: ٤٩)؟

فرقٌ بين خلق الله المطلق وبين ما أُعطيه المسيح من قدرة محدودة على الخلق، لا تتم إلا بإذن الله، ويُقويّ ذلك روايةُ وهب السابقة أن الطير كان يطير شيئاً ثم يسقط، وفيه دلالة على التفريق بين المخلوق والخالق.

ويؤكِّد الإمام ابن حزم التفريق بين الخَلْقَين، فيقول: (الخلق الذي أثبته الله – عز وجل – للمسيح – عليه السلام – في الطير وللكفار في الإفك[٦٥]، هو غير الخلق الذي نفاه عنهم وعن جميع الخلق، لا يجوز البتة غير هذا، فإذ هذا هو الحق بيقين، فالخلق الذي أوجبه الله تعالى لنفسه، ونفاه عن غيره هو الاختراع والإبداع وإحداث الشيء من لا شيء، بمعنى من عدم إلى وجود، وأما الخلق الذي أوجبه الله تعالى فإنما هو ظهور الفعل منهم فقط، وانفرادهم به، والله تعالى خالقه فيهم)[٦٦].

---

(٦٣) السعدي، ١٤٢١هـ، ١٣١/١.

(٦٤) ابن عاشور، ١٩٨٤م، ١٠١/٣.

(٦٥) يريد قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ ﴾ (العنكبوت: ١٧).

(٦٦) ابن حزم، د.ت، ٣٨/٣.

كما أسهب شيخ الإسلام ابن تيمية في الردِّ على النصارى عند مسألة خلق المسيح في جملة من الأوجه، منها ما يلي:

الوجه الأول: أن الله لم يذكر عن المسيح خلقاً مطلقاً ولا خلقاً عاماً كما ذكر عن نفسه تبارك وتعالى.. الوجه الثاني: أنه خلق من الطين كهيئة الطير، والمراد به تصويره بصورة الطير، وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس، فإنه يمكن أحدهم أن يصور من الطين كهيئة الطير وغير الطير من الحيوانات، ولكن هذا التصوير محرَّمٌ، بخلاف تصوير المسيح فإن الله أذن له فيه، والمعجزة أنه ينفخ فيه الروح، فيصير طيراً بإذن الله – عز وجل –.. الوجه الثالث: أن الله أخبر المسيح أنه إنما فعل التصوير والنفخ بإذنه تعالى، وأخبر المسيحُ – عليه السلام – أنه فعله بإذن الله، وأخبر اللهُ أن هذا من نعمه التي أنعم بها على المسيح – عليه السلام –.. وهذا كله صريح في أنه ليس هو الله، وإنما هو عبد الله فعل ذلك بإذن الله.. الوجه الرابع: أن اللاهوت إذا كان هو الخالق لم يحتج إلى أن يأذن لنفسه.. الوجه الخامس: أن الخالق إما أن يكون هو الذات الموصوفة بالكلام أو الكلام الذي هو صفة للذات، فإن كان هو الكلام، فالكلام صفة لا تكون ذاتاً قائمة بنفسها خالقة، ولو لم تتحد بالناسوت واتحادها بالناسوت دون الموصوف ممتنع لو كان الاتحاد ممكنا فكيف وهو ممتنع؟ فقد تبيَّن امتناع كون الكلمة تكون خالقة من وجوه.

وإن كان الخالق هو الذات المتصفة بالكلام، فذاك هو الله الخالق لكل شيء، رب العالمين، وعندهم هو الآب، والمسيح عندهم ليس هو الآب، فلا يكون هو الخالق لكل شيء[٦٧].

المبحث الثالث

معجزات المسيح – عليه السلام –

المطلب الأول: الولادة

أ – موجزُ معتقد النصارى

تقدم اعتقادُ النصارى أن المسيح – عليه السلام – وُلد من مريم – عليها السلام – بعد أن طهَّر الروحُ القدس رَحِمَها من كل الآثام طهارةً كاملةً، ثم اتحدت طبيعةُ الله بالطبيعة الناسوتية داخل الرحم، ويختلفون في تفاصيل الاتحاد والطبيعة والطبيعتين، فالأرثوذكس القدماء يعتقدون أن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين[٦٨]، بينما يذهب الكاثوليك[٦٩]، والبروتستانت[٧٠]، والأرثوذكس الروم[٧١] إلى أن المسيح طبيعتان: لاهوتية وناسوتية، كما تقدم بيان ذلك.

يقول البابا أثناسيوس: (نعترف بابن الله المولود

---

(٦٧) انظر: ابن تيمية، د.ت، ٤/٤٤ – ٥٢، بتصرف.

(٦٨) انظر: يوأنس، ٢٠٠٨م، ص ١٤٠ – ١٤١؛ حلمي، ٢٠٠٦م، ص ١٠٨ – ١٠٩؛ حلمي، ٢٠٠٧م، ص ٢١٨ – ٢١٩؛ يوأنس، د.ت، ص ٣٣ وما بعدها؛ رافائيل، ٢٠٠٤م، ص ٣٧.

(٦٩) انظر: سليم، ١٩٩٨م، ص ١٨٤.

(٧٠) انظر: أنس، د.ت، ص ١٠٣ – ١٠٤.

(٧١) انظر: كساب، ١٩٩٨م، ص ٣٦٤.

من الآب أزلياً قبل الدهور، وهو المولود أيضاً من العذراء بالجسد في آخر الزمان من أجل خلاصنا، وهذا الواحد هو الإله، وهو ابن الله بالروح، وهو ابن الله بالجسد)[٧٢].

ويقول القس عدنان طرابلسي: (الابن الشخص الثاني من أشخاص الثالوث الأقدس المجيد، صادر من الآب بالولادة فهو مولود من الآب منذ ما قبل الدهور أي سرمداً.

الابن في ملء الزمان تجسد من العذراء المجيدة، فأخذ طبيعة بشرية كاملة منها)[٧٣].

ولما كانت عقيدة البنوّة مشكلةً من حيث الطبيعة والتسمية، إذ البنوة تستلزم الولادة (والداً ومولوداً)، وهذا يقضي مشابهة الخالق للمخلوق الضعيف، لما كان الأمر كذلك؛ حاول النصارى الدفاع عن هذه العقيدة وتأكيد صحتها بنفي مشابهتها للبنوة بمعناها المعروف.

يقول الأنبا يوأنس: (أخطأ البعض حينما فهموا أن بنوة المسيح لله الآب كبنوة الإنسان للإنسان، ومعنى ذلك أن الأمر يقتضي الزواج، ويتطلب الذكر والأنثى وشهوة الجنس، وحاشا لله من ذلك، والمسيحيون لا يقولون بذلك، وعندهم أن الله لم يلد ولم يولد كما يلد الإنسان، وبنوة المسيح لله هي كولادة النور من النور، وكولادة الفكر من العقل)[٧٤].

ويعجز النصارى عن تشبيه عقيدتهم في الولادة بما هو محسوس؛ وكل ما يمثلون به مردودٌ عليهم، وفي هذا المثل النور المولود من نورٍ إنما هو نورٌ له ذات خصائص وتسمية النور الأول وليس مستقلاً عن أصله، وهذا يخالف معتقدهم في الأقانيم الثلاثة فلا يصح الاستدلال به، ومثله كذلك الفكر المتولد من العقل؛ فإن العقل سابقٌ للفكر، والفكر إنما جاء بعده، وهذا يخالف معتقد النصارى في أزلية الآب والابن وأنه ليس أحدٌ منهما قبل الآخر.

ب – أدلتهم من القرآن الكريم

يستدل النصارى على قولهم في «ولادة المسيح» بقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران: ٤٥ – ٤٧)، وبقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا

(٧٢) حلمي، ٢٠٠٧م، ص ٢٢٠.
(٧٣) أديب، ٢٠٠٩م، ص ٢٦٢.
(٧٤) يوأنس، د.ت، ص ١٧٦.

مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ (مريم: ١٦ – ٢٦).

يقول القس عبدالمسيح الكندي في شرح آية آل عمران: (إن مريم الطاهرة المباركة صارت إلى أم يحيى بن زكريا، وقد كانت هي وزوجها بارَّين تقيَّين عندما حبلت بيوحنا، فلما قرعت باب منزلها بالتسليم عليها على السنة الجارية عندهم؛ اضطرب الجنين في أحشائها فَرَحاً، وهتفت أمه بصوتٍ عالٍ قائلةً: من أين لي هذا؟ تأتي أم ربي إليَّ! مذ وقع صوت سلامك في أُذنيَّ اضطرب الجنين في بطني ساجداً فرحاً[٧٥])[٧٦].

ويقول القس باسليوس نجيب: (لم يقتصر الأمر على كُنْه المسيح أو طبيعته من حيث هو «كلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم» وهذا ما لم يوصف به أحد من البشر، وإنما الطريقة التي وُلد بها، والتي شرحها القرآن في سورة مريم كانت طريقة عجيبة معجزية لم يولد بها أحد غيره من امرأة.. أترك هذا العجب لتأمل القاريء لتسبح فيه روحه)[٧٧].

ويقول القس إبراهيم لوقا: (والحقيقة الثانية التي اعترف بها القرآن هي ولادة المسيح بطريقة سرية عجيبة لم تتم لكائن بشري سواه، فقد أثبت القرآن أن المسيح لم يولد من زرع بشري.. فولادة المسيح لا شبيه لها ولا مثال، والطريقة التي تمت بها تثبت له شخصيةً خارجة عن دائرة البشر، وإقرار الإسلام بهذا الميلاد العجيب؛ مصادقةٌ منه على سمو شخصية المسيح، وحقيقة لاهوته الممجد)[٧٨].

ج – دراسة الأدلة[٧٩]

يعتقد المسلمون بالميلاد العجيب لعيسى – عليه السلام – كما أوردته الآيات الكريمات في سورة مريم مفصلاً، ولكنهم لا يجعلون من هذا الميلاد سبباً في بلوغ المسيح مرتبة الألوهية، ويشهد لذلك أمورٌ، منها:

١ – أن قصة ميلاد المسيح تضمنت نفي ألوهيته، وإثبات بشريّته – عليه السلام – وأنه عبدٌ لله، فقد أخبر تعالى عن المسيح أنه قال: ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ (مريم: ٣٠)، فقد أثبت لنفسه العبودية لله،

(٧٥) وهي ما ورد في لوقا (٤٢/١ – ٤٥). الكتاب المقدس، ١٣٣٩م.

(٧٦) الكندي، ١٨٨٥م، ص ١٦٢.

(٧٧) نجيب، د.ت، ص ٢٥ – ٢٦.

(٧٨) لوقا، ١٩٩٥م، ص ١٣٠ – ١٣١.

(٧٩) لم أنقل هنا عن المفسرين كما في باقي المباحث، لأن الإشكال مع النصارى ليس في تفسير النص، وإنما في توظيف النص لخدمة معتقدهم.

ولو كان إلهاً ما صحَّ أن يكون عبداً لأحد.

٢ – تأكيده – عليه السلام – بأن الله قد جعله نبياً من أنبيائه، فمع إيماننا بقصة ميلاده – عليه السلام – الواردة في القرآن وأنها تمت بطريقة معجزة؛ إلا أن هذا لا يتعارض مع يقيننا بأن عيسى عبد لله ورسول من عنده.

٣ – مع إعجاز كلامه – عليه السلام – في المهد؛ إلا أنه – عليه السلام – لم يتفرّد به، فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلا ثَلاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَصَاحِبُ جُرَيج.. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارهةٍ وشارة حَسَنَة، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فقال: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ..»[٨٠]، فإن كان لازم مجرّد الكلام في المهد التأليه؛ فيلزم طرد ذلك على كل أفرادِ من تكلم في مهده، وهم لا يقولون بهذا.

٤ – أما سجود ما في بطن أمٍّ يحيى لما في بطن مريم – على التنزل بصحتها – فليس فيه دليل على ألوهية المسيح، فالشرائع السابقة كان يجوز فيها السجود للمعظَّمين، ومثله سجود أبوي يوسف وإخوته له، كما في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ ﴾ (يوسف: ١٠٠)، ولم يكن ذلك دالاً على تأليههم ليوسف، يقول ابن كثير معلقاً على سجودهم: (وقد كان هذا سائغاً في شرائعهم، إذا سلَّموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى – عليه السلام – ، فُحرِّم هذا في هذه الملة، وجُعل السجود مختصاً بجناب الرب – سبحانه وتعالى –)[٨١].

المطلب الثاني: شفاعةُ المسيح – عليه السلام –

أ – موجزُ معتقد النصارى

يؤمن النصارى عموماً بمبدأ الشفاعة، وهي عندهم على نوعين:

١ – الشفاعة الكفَّارية: وهي خاصة بالمسيح – عليه السلام –، لأنها تتعلق بمغفرة وتكفير خطيئة آدم – عليه السلام –، ولا يقدر عليها عندهم غير المسيح – عليه السلام –.

٢ – الشفاعة التوسليَّة: وهي عندهم متعلقةٌ بالقديسين والملائكة ومريم العذراء، وهؤلاء يتوسلون بالمسيح كي يشفعوا هم للناس، فيشفعون للناس بتوسلهم من المسيح – عليه السلام –[٨٢].

يقول القس سبرول: (فنحن نتمرد ونثور ونرفض طاعة ناموس الله، وكان من نتيجة ذلك أن

(٨٠) أخرجه البخاري، ١٤٠٧هـ، ١٢٦٨/٣، ح (٣٢٥٣): باب ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾؛ ومسلم، د.ت، ١٩٧٦/٤، ح (٢٥٥٠): باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة.

(٨١) ابن كثير، د.ت، ٤٩٢/٢.

(٨٢) انظر: كامل، د.ت، ص ١٤ – ١٦؛ سلامة، ١٩٦٥م، ٤٢٦/٢.

أصبح علينا غضب الله، ولكي يتغير هذا الوضع المأساوي أو يُستبدل، فإنه من الضروري أن نتصالح مع الله، ولكي تتحقق المصالحة؛ عيَّن اللهُ الآبُ ابنَه وأرسله لكي يكون وسيطنا، ولم يأت المسيح بأقل من العظمة الإلهية لله نفسه)[٨٣].

وجاء في التعليم المسيحي الكاثوليكي: (فالقديسون الذين في السماء لا نقتصر على تكريمهم كأمثلةٍ للإيمان مشعة، بل نطلب أيضاً شفاعتهم)[٨٤].

ويقول القمص لوقا الأنطواني: (هناك شراكةٌ عامةٌ بين الأحياء على الأرض والمنتقلين في السماء، وعلى رأسهم القديسين والشهداء، شركةٌ كاملةٌ، فنحن نتشفَّعُ بهم ونتصل بهم بطرق ووسائل شتى، ونتلقى على إثر ذلك معوناتهم لنا.. وكنيستنا الأرثوذكسية تتشفَّع بالقديسين، وتؤمن بفعالية هذه الشفاعة، وهذا واضحٌ في صلواتها المختلفة)[٨٥].

ويقول الأنبا غريغوريوس: (المنتقلون إلى العالم الآخر يشفعون في المجاهدين على الأرض، أو في أهل الأرض جميعاً، شأنهم شأن القديسين الأحياء على الأرض سواءً بسواء، ولا فرق لأن المنتقلين أو الراقدين هم أيضاً أحياءٌ عند الرب)[٨٦]، كما يذكر أيضاً عن القديسين – في حياتهم – أن لهم مواهب وقدرة على الكشف عن الماضي والحاضر والمستقبل أحياناً[٨٧].

فلأجل هذه المكانة العظيمة التي يعتقدونها في القديسين؛ شرَّعوا للناس الاستشفاع بهم وإكرامهم.

وهاتان الشفاعتان يؤمن بهما كل من الكاثوليك والأرثوذكس، أما البروتستانت فلا يؤمنون إلا بالشفاعة الأولى، ولا يرون لأحدٍ شفاعة غير المسيح – عليه السلام –.

يقول القس جيمس أنس: (لا يستطيع أحدٌ أن يظهر أمام اللَّه عنا بناءً على أنه شفيعٌ كهنوتي لنا، ويقدم استحقاقاته لاستجابة صلواته لأجل شعبه، إلا المسيح وحده)[٨٨]، ويقول أيضاً: (فالمسيح هو شفيعنا، وهو حيٌ في كل حينٍ ليشفع فينا في السماء)[٨٩].

ب – أدلتهم من القرآن الكريم

يستدل النصارى في هذا الجانب بقوله تعالى: ﴿ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٥)، وبقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا

(٨٣) سلامة، ١٩٦٥م، ٤٢٧/٢.
(٨٤) سليم، ١٩٩٨م، ص ٣٤٨.
(٨٥) الأنطوني، ٢٠٠٢م، ص ١٧ – ١٨.
(٨٦) غريغوريوس، ٢٠٠٥م، ٢٠٤/٥.
(٨٧) غريغوريوس، ٢٠٠٥م، ٢٠٦/٥.
(٨٨) أنس، د.ت، ص ٥٠١.
(٨٩) أنس، د.ت، ص ٤٥٦ – ٤٥٧.

تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٦ – ١١٨)، وبقوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ (مريم: ٢١).

يقول القس إسكندر جديد: (نرى أنّ القرآن يحصر الشفاعة لله وحده، إذ يقول: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ ﴾ (الزمر: ٤٤)، ومع ذلك فأحد نصوص القرآن يلمّح إلى كون الشفاعة أيضاً من امتيازات المسيح إذ يقول: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٥)) [٩٠].

وينقل القس إبراهيم لوقا إجماع المفسرين على أن المراد بقوله تعالى «وجيهاً»: أي شفيعاً، يقول: (بينما نرى الإسلام قد أثبت للمسيح هذا الاختصاص؛ نراه أولاً قد أنكر هذا الحق على كل من عداه من البشر بما فيهم الأنبياء والرسل، وثانياً نراه في الوقت نفسه يصرح بأن الشفاعة حق من حقوق الله جل شأنه) [٩١]، ويقول أيضاً: (فإذا كان الإسلام قد صرَّح بأن لا شفاعة للبشر، وأن هذه الشفاعة من حقوق الله جل شأنه، في الوقت الذي أثبتها فيه للمسيح [٩٢]، كانت النتيجة المنطقية لهذا هي إقرار الإسلام بلاهوت المسيح) [٩٣].

ويقول يوسف درة: (لا يعترف القرآن بالشفاعة في يوم الدين إلا لمن ارتضى من الملائكة، وللمسيح وحده من دون العالمين والمرسلين أجمعين) [٩٤]، ويقول عند آية المائدة: (وفي محاكمة الرسل يوم الدين يستجوب الله عيسى في عبادة الناس له وتأليهه، فينكر بأدب جمٍّ.. هذا مثال حي من القرآن على شفاعة المسيح في يوم الدين، ولا نرى في القرآن أحداً من الملائكة ولا من الرسل يقف هذا الموقف الاستغفاري الاستشفاعي إلا المسيح وحده) [٩٥].

يقول القس سامي إسكندر: (ولعل الرحمة [٩٦] المقصودة هنا غير هداية الناس ليعودوا للجنة، لعلها الشفاعة في دخول المؤمنين به الجنة، بعكس آدم [٩٧] الذي أخرجهم من الجنة) [٩٨].

ج – دراسة الأدلة:

بالرجوع إلى الآيات التي يستدلُّ بها النصارى، نجد المفسرين على خلاف ما تأولوه، فمن ذلك:

يقول الطبري: (القول في تأويل قوله تعالى: «وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين» يعني بقوله

(٩٠) جديد، د.ت، ص ٤.

(٩١) لوقا، ١٩٩٥م، ص ١٤٣.

(٩٢) يريد آية المائدة.

(٩٣) لوقا، ١٩٩٥م، ص ١٤٥.

(٩٤) الحداد، ١٩٨٦م، ص ١٩١.

(٩٥) الحداد، ١٩٨٦م، ص ١٩٣.

(٩٦) أي في قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾.

(٩٧) ظاهرٌ هنا عدم تأدبهم مع أنبياءِ الله.

(٩٨) إسكندر، ٢٠٠٥م، ص ٢٤٧.

«وجيهاً» ذا وجه ومنزلة عالية عند الله، وشرف وكرامة..، وأما قوله «ومن المقربين» فإنه يعني أنه ممن يقربه الله يوم القيامة، فيُسكنه في جواره ويدنيه منه)[٩٩].

ويقول البغوي: («وجيهاً» أي: شريفاً رفيعاً، ذا جاه وقدر «في الدنيا والآخرة ومن المقربين» عند الله)[١٠٠].

ويقول ابن كثير: («وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين» أي: له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا بما يوحيه الله إليه من الشريعة، وينزله عليه من الكتاب وغير ذلك مما منحه الله به، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه فيقبل منه، أسوة بإخوانه من أولي العزم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين)[١٠١].

ويورد الإمام الألوسي الأقوال الواردة في الآية فيقول: ﴿ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ الوجيه ذو الجاه والشرف والقدر، وقيل: الكريم على من يسأله فلا يرد لكرم وجهه عنده، خلاف من يبذل وجهه للمسألة فيرد، ووجاهته في الدنيا بالنبوة والتقدم على الناس، وفي الآخرة بقبول شفاعته وعلو درجته، وقيل: وجاهته في الدنيا بقبول دعائه بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وقيل: بسبب أنه كان مبرءاً من العيوب التي افتراها اليهود عليه، وفي الآخرة ما تقدم، وليست الوجاهة بمعنى الهيئة والبزة)[١٠٢].

ويقول ابن سعدي: («وجيهاً في الدنيا والآخرة» أي: له الوجاهة العظيمة في الدنيا، جعله الله أحد أولي العزم من المرسلين أصحاب الشرائع الكبار والأتباع، ونشر الله له من الذكر ما ملأ ما بين المشرق والمغرب، وفي الآخرة وجيهاً عند الله يشفع أُسوةً [بإخوانه][١٠٣] من النبيين والمرسلين، ويظهر فضله على أكثر العالمين، فلهذا كان من المقربين إلى الله)[١٠٤].

كما أن المسيح – عليه السلام – لم يكن مختصاً بوصف الوجاهة دون غيره، فقد سبقه إليها موسى – عليه السلام –، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (الأحزاب: ٦٩)، ولم يكن وصفه بالوجاهة لازماً لتأليهه – عليه السلام –.

أما قوله تعالى «ورحمةً منا»، فيقول الطبري: («ورحمةً منا» يقول ورحمةً منا لكِ ولمن آمن به وصدقه)[١٠٥].

ويقول ابن كثير: (وقوله: «ورحمةً منا» أي: ونجعل هذا الغلام رحمة من الله، نبياً من الأنبياء يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده)[١٠٦].

وبالتأمل فيما ذكره المفسرون حول الآيات، نجد أن ثبوت الشفاعة لعيسى – عليه السلام – لا إشكال

(٩٩) الطبري، د.ت، ٢٧١/٣.
(١٠٠) البغوي، د.ت، ٣٠٢/١.
(١٠١) ابن كثير، د.ت، ٣٦٥/١.
(١٠٢) الألوسي، ١٤١٥هـ، ٤٠/٣.
(١٠٣) في الأصل «إخوانه».
(١٠٤) السعدي، ١٤٢١هـ، ١٣١/١.
(١٠٥) الطبري، د.ت، ٦٢/١٦.
(١٠٦) ابن كثير، د.ت، ١١٥/٣.

فيه، وهو معتقد أهل السنة والجماعة، فعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – مرفوعاً قال: «فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط..الحديث»[١٠٧]، إلا أن من عَرَضنا لهم من النصارى سعوا جاهدين لتوظيف نصوص القرآن الكريم في غير محلها، فتخصيص المسيح – عليه السلام – بالشفاعة دون غيره من الأنبياء باطل، إذ الشفاعة ثابتةٌ له ولغيره من الأنبياء – عليهم السلام –، كما في الشفاعة لمن يستحق النار ألا يدخلها، بل إن الشفاعة العظمى يعتذر منها آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم – عليهم السلام –، فتؤول إلى نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –[١٠٨]، ومع شفاعته – صلى الله عليه وسلم – العظمى التي لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء؛ إلا أنه – صلى الله عليه وسلم – عبدٌ لله لا يستحق شيئاً من العبادة، بل ورسالته – صلى الله عليه وسلم – داعيةٌ إلى التوحيد، محذرةٌ من الشرك.

فقوله تعالى: «ورحمةً منا»، دالٌ على أنه رحمة للناس، كما غيره من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، ولم يكن لازم ذلك تأليه أحدٍ منهم ولا إشكال في ذلك.

الخاتمة

بعد هذا الطواف السريع، يمكننا أن نصل إلى جملة من النتائج، أبرزها:

١ – أن المتشابه من الشبه والشبيه، وهو المثل، والأصل في المتشابه التماثل، ثم توسع فيه ليشمل كل التباس، وأبرز ما ورد في معنى المتشابه في القرآن الكريم: ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل، وقيل: ما يحتمل وجوهاً، وقيل: هو منسوخ القرآن، وأمثاله، وأقسامه، وقيل غير ذلك.

وهو على نوعين: حقيقي وإضافي.

٢ – لوجود المتشابه في القرآن الكريم حكمٌ متعددة، منها: الحث على التأمل والتفكر والاجتهاد في كتاب الله، وفيه إقامة الحجة على العرب، لعجزهم عن إدراك كل حقائقه مع أنه بلغتهم، ومنها: الابتلاء والاختبار للمؤمنين في إيمانهم بالغيب، وفيه أيضاً: دعوة الأمة إلى امتثال أقوال العلماء الراسخين، كما أنه باب من أبواب الدعوة إلى تأمل القرآن والبحث فيه من غير المسلمين.

٣ – منهج أهل الأهواء وأعداء الدين ظاهرٌ في تتبع متشابه القرآن، لمحاولة التشكيك في النصوص الشرعية والمسلَّمات العقدية، ليتفق مع أهوائهم الضالة، وشهواتهم الفاسدة، وهم يأخذون بالمتشابه

---

(١٠٧) أخرجه مسلم، د.ت، ١/١٧٠، ح (١٨٣): باب معرفة طريق الرؤية.

(١٠٨) الحديث في مسلم، د.ت، ١/١٨٠، ح (١٩٣): باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، وانظر: ابن تيمية، ١٤١٢هـ، ٣/١٤٧.

من نصوص الوحيين، ويتركون النصوص الصريحة المحكَمة، واحتجاجهم لا يصح بوجه من الوجوه.

٤ – استدلال النصارى على علم المسيح المطلق للغيب باطل ولا يصح؛ فما ورد في ذلك إنما يدلُّ على اختصاصه ببعضِ علم الغيب لا مطلقه، وهو العلم بما يؤكل وما يُدخَّر، والاختصاص بشيء من علم الغيب لم يكن قاصراً على المسيح – عليه السلام –، فقد أخبر نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – عن شيءٍ من الغيبيات، ولم يرفعه ذلك عن مقام النبوة والرسالة.

٥ – ما جاء في عصمة المسيح واستدلال النصارى بآية آل عمران ومريم؛ فالمفسرون على أن الاستعاذة جاءت من أمِّ مريم لمريم وذريتها، وأن الله استجاب لها، فليست الآية خاصة بالمسيح، بل به وأمه وذريتها، وهذا يُلزم النصارى بأن يقولوا عن مريم ذات القول عن المسيح، كما أن وصف التزكية ورد في القرآن لغير المسيح ولم يكن دالاً على تأليه الموصوفين به.

٦ – معجزة خلقِ المسيح للطير وإبراء الأكمه والأبرص وغيرها من المعجزات التي وهبها الله له، إنما هي مقيدة بإذن الله لكونها مما يختص اللهُ به، ولو كان إلهاً لما احتاج أن يكون خلقه بإذن الله.

٧ – يعتقد المسلمون بأن ميلاد عيسى – عليه السلام – كان بطريقة معجزة، إلا أنه مع هذا الإعجاز لا يصح أن يُرفع فوق مقامه الذي أنزله اللهُ إياه، وذلك كما لغيره من الأنبياء من المعجزات، وأما ما ورد في سجود ما في بطن أمِّ يحيى للمسيح في بطن أمه – على التنزل بثبوته – لا يدل على ألوهيته، لأن السجود في الشرائع السابقة جائز لذوي الشأن، ولا ننكر أن المسيح له شأنه الذي لا يتجاوز حدود بشريته.

٨ – شفاعة المسيح – عليه السلام – ثابتة كما ثبتت لغيره من الأنبياء، وليس في ذلك خصوصية، فلنبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – الشفاعة العظمى، فلو كان الاختصاص بنوعٍ من الشفاعة مسوغاً لادعاء الألوهية؛ لكان ذلك لنبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وحاشاه.

المراجع

إبراهيم، أبانوب حنا. *المجيء الثاني والدينونة*. ط١. القاهرة: دار نوبار، ٢٠٠٦م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. *مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية*. جمع: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ.

ـــــــــــــ، *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*. تحقيق: علي سيد صبح المدني، مصر: مطبعة المدني، د.ت.

ابن حزم، علي بن أحمد. *الفصل في الملل والأهواء والنحل*. القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. *تفسير القرآن العظيم*. ط٤. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

ابن منظور، محمد بن مكرم. *لسان العرب*. ط١. بيروت: دار صادر، د.ت.

أبو زيد، بكر بن عبد الله. *معجم المناهي اللفظية*. ط٣. الرياض: دار العاصمة، ١٤١٧هـ.

أديب، عدنان. *سألتني فأجبتك*. ط٣. عمشيت: دكاش برينتنغ هاوس، ٢٠٠٩م.

إسكندر، سامي. *هل يعقل أن المسيح هو الله*. القاهرة: الكنيسة الإنجيلية بالإسعاف، ٢٠٠٥م.

الألوسي، محمود بن عبدالله. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تحقيق: علي عبدالباري عطية. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

أنس، جيمس. *علم اللاهوت النظامي*. تحقيق: منيس عبد النور، القاهرة: الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، د.ت.

الأنطوني، لوقا. *السماء وطن الإنسان*. ط١. القاهرة: مكتبة المحبة، ٢٠٠٢م.

البخاري، محمد بن إسماعيل. *صحيح البخاري*. تحقيق: مصطفى ديب البغا. ط٣. بيروت: دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ.

البغوي، الحسين بن مسعود. *معالم التنزيل*. تحقيق: خالد العك، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

جديد، اسكندر. *شخصية المسيح في القرآن والإنجيل*. القاهرة، د.ن، د.ت.

جرجس، فوزي وباسيلي، أمين. *التثليث والتوحيد*. القاهرة: مكتبة المحبة، د.ت.

الحداد، يوسف درة. *مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي*. ط٢. جونية: المكتبة البولسية، ١٩٨٦م.

حلمي، بيشوي. *إيماننا المسيحي صادق وأكيد*. ط٤. القاهرة: دار نوبار، ٢٠٠٦م.

ـــــــــــــ، *عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية*. ط١، القاهرة: دار نوبار، ٢٠٠٧م.

الحنفي، ابن أبي العز. *شرح العقيدة الطحاوية*. ط٤. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩١هـ.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. *مختار الصحاح*. تحقيق: محمود خاطر، بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ.

رافائيل، الأنبا. *ثبت أساس الكنيسة*. ط١. القاهرة: مكتبة أسقفية الشباب، ٢٠٠٤م.

رياض، يوسف. *ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي*. القاهرة: مكتبة الأخوة، د.ت.

سبرول، ر.ك. *حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي*. ترجمة: نكلس سلامة، القاهرة: مكتبة المنار، ٢٠٠٠م.

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

سلامة، يوحنا. *اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة*. ط٣. القاهرة: مكتبة مارجرجس، ١٩٦٥م.

سليم، كيرلس. *المسيحية في عقائدها*. ط١. بيروت: المكتبة البولسية، ١٩٩٨م.

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى. *الاعتصام*. مصر: المكتبة التجارية الكبرى، د.ت.

شنودة الثالث، البابا. *القرآن والمسيحية*. القاهرة: مطبعة الأنبا رويس، د.ت.

ـــــــــــ، *طبيعة المسيح*. ط١٢. القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، ٢٠٠٧م.

ـــــــــــ، *لاهوت المسيح*. ط١١. القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، ٢٠٠٧م.

الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق: خالد العك، بيروت: دار الفكر، د.ت.

عبدالرزاق، محمود. *قضية المحكم والمتشابه، وأثرها على القول بالتفويض*. نسخة إلكترونية، د.ت.

غريغوريوس، الأنبا. *اللاهوت العقيدي في أسرار الكنيسة السبعة*. القاهرة: جمعية الأنبا غريغوريوس، ٢٠٠٥م.

فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن. *التفسير الكبير*. ط٣. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. *القاموس المحيط*. تحقيق: محمد نعيم، ط٦. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ.

كامل، حسام. *الشفاعة*. القاهرة: مكتبة المحبة، د.ت.

الكتاب المقدس: العهد الجديد. ط٤. لبنان: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٩٣م.

الكتاب المقدس: العهد القديم. ط١. لبنان: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٩٣م.

كساب، حنانيا إلياس. *مجموعة الشرع الكنسي*. ط٢. بيروت: منشورات النور، ١٩٩٨م.

الكندي، عبدالمسيح. *رسالة عبدالمسيح الكندي إلى عبدالله بن إسماعيل الهاشمي*. لندن: مطبعة كلبرت، ١٨٨٥م.

كونيارس، أنتوني. *الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور*. ط٣. القاهرة: مطبعة مدارس الأحد، ٢٠٠٧م.

لوقا، إبراهيم. *المسيحية في الإسلام*. ط٥. سويسرا: مكتبة الطريق الجيد، ١٩٩٥م.

مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري. *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

المطرودي، عبدالرحمن إبراهيم. *المحكم والمتشابه في القرآن العظيم*. ط١. الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٦هـ.

نجيب، باسيليوس. *المسيحية والإسلام*. نسخة إلكترونية، د.م: د.ن، د.ت.

نمارنه، إبراهيم مصطفى. المحكم والمتشابه في القرآن الكريم. ط١. الأردن: إربد، ١٤٢٣هـ.

اليسوعي، صبحي حموي. *معجم الإيمان المسيحي*. ط٢. بيروت: دار المشرق، ١٩٩٨م.

يوأنس، الأنبا. *إيماننا الأقدس*. ط٦. القاهرة: مطبعة الأنبا رويس، ٢٠٠٨م.

ـــــــــــــ، *عقيدة المسيحيين في المسيح*. د.م: د.ن، د.ت.

يوحنا، منسي. *طريق السماء*. القاهرة: مكتبة المحبة، د.ت.

Evidence of the Christians on the Divinity of Christ and His Miracles from (Collection and Study the Holy Quran)

Humood Ibrahim Bin Salamah
Assistant Professor of the study of religions, Department of Islamic Culture
College of Education, King Saud University
Al Riyadh , Kingdom of Saudi Arabia, P.O. box: 2458, Postal Code:11451
E-mail: humood4@gmail.com
(Received 1/12/1431H; accepted for publication 18/11/1432H.)

Key words: Interpretation of the Koran, Christ, Divinity, Miracles, Christians.

Abstract. Christians tended to the similar from the Quran to demonstrate the validity of their belief in the divinity of Christ through his miracles and some of the descriptions contained in the Quran.

Evidenced from the Quran brought by the Christians in support of the Christ absolute knowledge of the unseen is false and not valid. What is mentioned in the book of God on that refers to his partial knowledge of some of the knowledge of the unseen and not absolute (knowledge) and that is not limited to him.

The proof they brought from the Quran in support of his impeccability (peace be upon him) does not support the christ's special possession of it. But rather it covers him, his mother and offspring. Whatever is said about the Christ is true to be said about Mariam, peace be upon her and her off springs.

The miracles which the Christ brought are chained with the permission of God, for him based on the fact that they are special possession of God. If he (peace be upon him) is a god he would not need to be chained that with the permission of God.

The fact that his birth (peace be upon him) was through a miraculous way does not validate his being raised over his position which God places him.

And the intercession of Christ is confirmed just as it is confirmed to other prophets beside him. Therefore, should not be drawn to claiming his lordship and if not that should also be done to other prophets- they are fare from that.